الدرس الدلالي عند فخر الدين الرَّازي من خلال كتابه
(نهاية الإيجاز في درَاية الإعجاز)

عزالدين سلطان البشير
قسم اللغة العربية – كلية اللغات

محمد ونيس سليمان غيث
قسم اللغة العربية – كلية التربية

المقدمة:

إن الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهمها من خلال فهم المعنى ،حيث يلعب المعنى دوراً كبيراً في كل مستويات التحليل اللغوي ، لذلك نال علم الدلالة (semantics) اهتماماً كبيراًمن العلماء والباحثين في القديم والحديث ، ليس بين أهل اللغة فقط ،بل في فروع العلوم الإنسانية الأخرى ، مثل : علم النفس ، وعلم الاجتماع وغيرها وإن اختلفت زوايا اهتمام كل علم من هذه العلوم .، وليس بمستغرب أن ينال علم المعنى هذا القدر من الاهتمام بين العلماء والباحثين ، فقد دعوا إلى تفكُّر اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر أيضاً إلى الكشف عن أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرًا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين.

(ينظر: المسدي ، عبدالسلام،1981م ص: 26).

وتركز البحث اللغوي عند العرب منذ بداياته على تحديد المعنى وما يحتويه القرآن الكريم من معانٍ ومقاصدٍ، فلقد كان هَمّ الدراسات العربية بمختلف فروعها ومسمي وتركز البحث اللغوي عند العرب منذ بداياته على تحديد المعنى وما يحتويه اتها نحواً وصرفاً وبلاغةً ولغةً ومعاجم"معرفة المعنى"، وكان النقاش والتوجيهات للمسائل التي كانت تدور بين العلماء في خانة المعنى، وقرروا أن: "كل ما صلح به المعنى فهو جيد وكل ما فسد به المعنى فمردود"(المبرد، تحقيق ، عظيمة عبدالخالق، محمد د، ت، 311/4)، وهذا أقوى دليل على المكانة التي يحتلها علم المعنى ، وعلم الدلالة قديم ،وإن بدا أنه حديث، فما من أمة من الأمم إلا وبحث في ألفاظ لغتها.

(عبدالغفار،أحمد،السيد،1981م،ص : 63)

ومحاولة تحديد المعنى الذي يحمله اللفظ عندما يكون مفرداً، وبيان ما يؤول إليه المعنى عندما يوضع في تركيب، هو علم مستحدث بفضل أن علم اللسانيات الحديث طوّر نظرياته ووضع أصوله ووضّح معالمه، وبيّن صلته بالعلوم الأخرى فأصبح علماً قائماً بذاته له مناهجه ونظرياته.

والعرب عرفوا بين الأمم بفصاحة اللسان ونصاعة البيان، وكانت المعجزة القرآنية بالعربية الفصيحة نظماً وتأليفاً، ذات دلالات بلاغية تنم على ذوق العربية وتنوع فنونها، لذلك صار البحث في الدلالة أمراً ضروريًا لابد منه، وعملاً ذا أهمية بالغة في الوقت نفسه لما له من اتصال وثيق بالعمليات التواصلية بين بني الإنسان سابقاً وحاضراً ومستقبلاً.

إن علم الدلالة ليس مُقتصراً على اللغويين فحسب، بل تناوله بالدراسة علماء ومفكّرون من ميادين شتى، كالأصوليين والبلاغيين والفلاسفة والمناطقة والمفسرين وعلماء النفس والاجتماع ، وغيرهم من العرب والهنود واليونان، وكان لكل منهم منهجُه الخاص في تناول الألفاظ ودلالتها .

ونشأ الخلاف في تحديد الدلالة ومفاهيمها وطرائق دراستها، فضلاً عن أنّ شمول الدلالة وتداخلها بالعلوم الإنسانية كافّة قد أدّى إلى اختلاف مفاهيمها ،ولكنّ هذا الخلاف يصُبُّ في مسار واحد؛ لأنّ المفهوم العام للدَلالة عند الجميع واحدٌ، غير أنّ كلّ طائفة تتناولها بأسلوب خاصّ بها وتختلف عن غيرها بملاحظات واعتبارات متباينة ، وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع الجهود الدلالية عند أحد أعلام البلاغة وهو فخر الدين الرّازي الذي تظهر اسهاماته في مختلف فروع الدرس اللغوي.

أولاً :تعريف الدلالة

1- الدلالة لغة :

الدلالة لغة: التوضيح والإفهام بقرينة موجودة في الشيء ، يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة :"دللت فلاناً على الطريق، والدليل الأمارة في الشيء "(ابن فارس،1991،مادة دلل)

ومن معانيها أيضاً: الهداية ، يقول الزمخشري : أدللت الطريق اهتديت إليه ،ومن المجاز الدال على الخير كفاعله ، ودَله وأدله السمع ، واستدل به عليه ،اقبلوا هدي الله ودليله ".(الزمخشري،1992م،مادة ،دلل)

أما صاحب الصحاح فيقول :"الدليل ما يستدل به ، والدليل الدال. وقد دَلّه على الطريق يدُلَه دَلالة ودِلالة ودلولة"(الجوهري ،مادة، دلل) وهذه التفسيرات جميعها تكاد تجمع على أن الدلالة هي مطابقة الشيء للشيء.

2- الدلالة اصطلاحاً:

"هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو: الدال ،والثاني هو المدلول"(الجرجاني،الشريف،د،ت،ص: 220)يتضح من خلال هذا التعريف أن المعنى الاصطلاحي للدلالة قريب جداً من المعنى اللغوي ، حيث إن الدلالة في الاصطلاح هي أن يكون العلم بشيء ما موصولاً إلى العلم بشيء آخر ، فالحالة التي يقصدها الجرجاني هي حالة التوظيف السياقي للشيء وما يرتبط به في تلك الحالة من لزوم المعرفة بما يحيط بهذا الشيء إسهاماً في إيضاح دلالته ، وبيان مقصد توظيفه ، والمراد بالدلالة ، المعنى ويقابلها بهذا المفهوم المصطلح الغربي (meaning).

وهي أيضاً فهم أمر من أمر ، أو فهم شيء بواسطة شيء ،فالشيء الأول هو المدلول ، والآخر هو الدال ،كدلالة إنسان على معناه الذي هو (الذات) فاللفظ هو الدال والذات هي المدلول ، وفهم الذات من اللفظ هو معنى الدلالة .(ينظر: الفاخري،صالح،1999م،ص:25)

فالدلالة هي صرف اللفظ ،وفي هذه الحالة هي إثارة اللفظ للمعنى الذهني (غيرو، بيار،1986م،ص:6) ، أي أن المعاني هي: "الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ،فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به عن هيئة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين ، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ (القرطاجني،حازم،1981،ص:18)

وعلى هذا الأساس تكون الصورة الذهنية هي الرابط بين اللفظ ومدلوله ،كلفظ "الشجرة" هو الدال ، والشيء الخارجي هو "الشجرة" نفسها ، والصورة الحاصلة تمثل الفكرة ، وهذا ما يعرف بنظرية "مثلث المعنى" عند ريتشاردز ، وأوجدن، إذ يطلق مصطلح (الدال) على الاسم أي الرمز كما يطلق مصطلح (المدلول)على الشيء أو المرجع كما يطلق (معنى)على الفكرة المقصود التعبير عنها أيى المدلول (الاسم)، وقد حدد عبد القاهر الجرجاني مفهوم المعنى مأخوذاً من وظيفة اللفظ ، أو دلالته الوضعية ،إذ يقول: "ويعني المعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة "(الجرجاني،عبدالقاهر،1992،ص:263) وإذا كانت اللغة وعاء الفكر الإنساني وترجمان سلوكه فإن أداة الدلالة في اللغة هي اللفظة ، أو الكلمة التي فرضت نفسها وبسطت هيمنتها على أسماع الناس سواء كانت هذه الكلمة منطوقة أم مدونة مكتوبة ، ذلك لما تتمتع به من رفعة المكانة ، وقوة التأثير وسعة الاستعمال وحرية الحركة ، ما ألبسها قوة خارقة وقيمة أسطورية .

ثانياً: عناصر الدلالة :

بما أن اللغة نظام من العلاقات فهي بذلك جماع عنصرين أساسين هما الألفاظ ، أو الكلمات و الأفكار ،أو المعاني وبين هذين العنصرين ارتباط وثيق فمتى عرف اللفظ أمكن ادراك معناه وتحصيله ومن ذلك كان للدلالة ثلاثة عناصر ضرورية هي: الدال ، والمدلول ، والنسبة ، وعليه تكون الدلالة هي اقتران الدال بالمدلول . (حنا، سامي ،عياد،1987م،ص:128) وبذلك يمكن دراسة عناصر الدلالة كما يلي:

1- الدال وهو أداة الإشارة إلى الفكرة الذهنية المجردة والحامل لها والمعبر عنها، ويعرفه سويسير بأنه "الصورة الصوتية أي الإصغائية ،وهي ليست السوالفيزيائي المحض وإنما الأثر النفسي الذي يحدثه الصوت في الذهن ". (فرديناندي، سويسير، 1986،ص:81- 139)

2- المدلول وهو الفكرة أو الدال الذي يحمله الدال ويعبر عنه ،أو هو القالب اللفظي الموضوع له وضعاً خاصاً يعرفه سوسير بأنه "التصور" (المصدر نفسه،88) ويعرفه البعض أيضاً بأنه الصور المفهومية التي تعبر عن التصور الذهني الذي يحيلها إليه الدال "(قدور ، أحمد1999م،ص:18)

3 - النسبة وهي العلاقات القائمة بين الألفاظ والمعاني التي تدل عليها ، أي هي العلاقة بين الصورتين الصوتية والذهنية، وبحصولها يتم الفهم ويحصل الأدراك وهي ما يصطلح عليه: العلاقة الدلالية أو الدلالة، وتتحقق عند اقتران الدال بالمدلول.(قدور،ص:20) وقد قام كل من ريتشاردز وأوجدن ، وهما عالما اجتماع سنة 1923م حيث قاما بتحديد هذه العلاقة في مثلث عُرف بمثلث الدلالة:

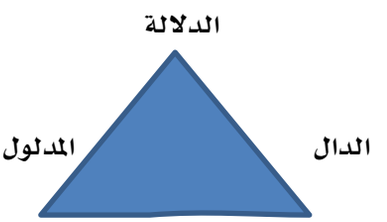

وبذلك فإن العلاقة بين عناصر الدلالة تكون كالتالي:

1- علاقة المدلول بالدلالة علاقة مباشرة

2- علاقة الدال بالدلالة علاقة مباشرة

3- علاقة الدال بالمدلول علاقة غير مباشرة

وفيما يتعلق بموضوع الدلالة من الناحية البلاغية فيعدّ الجاحظ أول من عرض لهذا الموضوع في

كتابه "البيان والتبيين"، فبعد أن عرّف البيان، قال: "الدَّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد"(الجاحظ،1/16).وهي:

1- دلالة لفظيّة: ويعني بها دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعة بإزائها، كدلالة لفظ الإنسان على مسمّاه.

2- دلالة الإشارة: وتكون باليد والرّأس والعين والحاجب وبالثّوب والسّيف وهذا النّوع عنده مشارك للنّوع الأوّل وقد يغني عنه، وعلى هذا قول الشّاعر:

أَشارَت بِطَرفِ العَينِ خَشيَةَ أَهلِها إِشارَةَ مَحزونٍ وَلَم تَتَكَلَّمِ

فَأَيقَنتُ أَنَّ الطَرفَ قَد قالَ مَرحَباً وَأَهلاً وَسَهلاً بِالحَبيبِ المُتَيَّمِ

(ديوان، عمر بن أبي ربيعة،ص:180)

وقول الآخر:

تَرَى عَيْنَهَا عَيْنِي فَتَعْرِفُ وَحْيها وَتَعْرِفُ عَيْنِّي مَا بِهِ الوَحْي يَرْجَعُ

(الجاحظ، ج/1،ص:84)

ففي هذين الشّاهدين قامت دلالة الإشارة مقام دلالة اللّفظ.

3- دلالة الخط: ويعني بها دلالة الكتابة على المكتوب كدلالة رسم (الياء) على صوته.

4- دلالة العقد: وهو نوع من العدّ بأصابع اليدين على نحو ما يفعل المبتدئون في تعلّم الحساب.

5- دلالة النّصبة: وهي الحال النّاطقة بغير اللّفظ المشَيّرَة بغير اليد، كما هو الحال في الصّفرة على وجه المريض أو المذعور. (ينظر: المصدر نفسه)

وهذه الأنواع الخمسة الّتي ذكرها الجاحظ يمكن أن يفاد منها جميعاً في الوصول إلى المعنى، وذلك بمراعاة جميع الظروف المحيطة بعمليّة التّكلّم اللغوي منها و غير اللغوي ، ذلك أنّ المتكلّم قد يستخدم في أثناء حديثه إشارات وقد يأتي بحركات يكون لها أبلغ الأثر في توجيه ذلك الحديث فتنقله من السَّلب إلى الإيجاب أو العكس ومن الصدق إلى الكذب أو العكس. وحينما قال:" والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك وإنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير)) (ينظر: الجاحظ،3/131).

أما المخالفون للجاحظ فكانت معالجتهم لهذا الموضوع من خلال ما أثاره الجاحظ من فصل بين اللفظ والمعنى فُهِمَ منه أنه يفاضل بينهما فاحتدم النقاش بينهم حول أيهما أفضل وانحاز بعضهم

إلى اللفظ وانحاز آخرون إلى المعنى وأضحى هذا الأمر محور درسهم ومثار اهتمامهم، ثم لم يلبثوا أن ركنوا إلى الاعتدال واستقر بهم الأمر إلى عدهما كليهما مكونين للغة التي يحصل بها التفاهم وأقاموا عليهما تقسيماً ثنائياً للدلالة اللفظية والدلالة المعنوية وهم لا يختلفون في ذلك عن "ابن جني" إلا في الدلالة الصناعية التي لم تظهر عند البلاغيين وظهرت عند "ابن جني" ، وهكذا فإن الدلالة عند البلاغيين قسمان: دلالة لفظية ودلالة معنوية، وذلك من خلال تقسيم الرَّازي للدلالة.

ثالثاً: الدلالة عند الرَّازي:

المفاضلة بين اللفظ والمعنى مسألة أثارها من سبق الرّازي منذ الجاحظ ،وظل الجدل محتدماً حولها حتى إننا لنجد ابن قتيبة في الشعر والشعراء وهو يصنّف الشعر إلى حسن وقبيح لم يكن له من معيار إلا تلك المفاضلة، وإن كان يذهب إلى أن الشعر الجيد هو الذي حاز الحسنين حسن اللفظ ، وجودة المعنى فقسم الشعر إلى أربعة أضرب:

1. ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول أبي ذؤيب:

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إذَا رَغِبْتَهَا وإذَا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقنَعُ (المفضليات،ص:422)

2. ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى

كقول القائل:

وَلَمَا قَضَيِّنَّا مِنْ مِنًّى كُلَّ حَاجَّةٍ وَمَسَحَ بالأرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشَدتْ عَلَى حَدْبِ الْمَطَايَا رِحَالُنَا ولاَ يَعْرِفُ الْغَادِي الْذِّي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيْثِ بَيْنَنِا وَسَالَتْ بِأَعْنَّاقِ الْمَطِّي الأَبَاطِحِ

(يزيد بن الطثرية،د،ت،ص:64)

3. ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

مَا عَاتَبَ الْمَرْءُ الكَريمَ كَنَفسِهِ وَالمَرءُ يُصلِحُهُ الجَليسُ الصالِحُ

4. ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه، ومن هذا الضرب قول الأعشى:

وَقَد غَدَوْتُ إِلى الحَانُوتِ يَتبَعُني شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلشُلٌ شَوِلُ

(ابن قتيبة،2003م،1/12- 17)

ولما كانت الدلالة هي علاقة تضايف معينة بين الدال والمدلول فقد تعددت أنواع الدلالة بحسب الرؤية المختلفة لطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول .(فاخوري ،عادل ،ص:13) وكان الرّازي من

أولئك العلماء الذين اهتموا بالدلالة؛ فبحث في قسم الألفاظ من حيث إفرادها وتركيبها وتأليفها ، وقد أحصى ثلاثة أقسام منها : مفردة ، ومركبة ، ومؤلفة ،وقد قسم الرّازي الدلالة إلى قسمين رئيسين:

1- **الدلالة اللفظية** :

لم يضع الرَّازي تعريفاً لها ولكنّ جمهور البلاغيين يعرفونها: ((بأنها فهم المعنى من اللفظ عند إطلاقه بالنسبة إلى من هو عالم بالوضعِ"(التفتازاني،2001م،506/1) وقد قسمها الرّازي إلى قسمين هما : **وضعية و عقلية**

فالوضعية: كدلالات الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها كدلالة الحجر والجدار والسماء والأرض على مسمياتها، حيث يقول في أقسام دلالة اللفظ على المعنى، وهي: " إما أن تكون وضعية أو عقلية، فالوضعية : كدلالات الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها، كدلالة الحجر والجدار ، والسماء ، والأرض على مسمياتها ولاشك في كونها وضعية ، وإلا امتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع"(الرَّازي، فخرالدين،2004م،ص:30)، وهذه هي الدلالة اللفظية الحقيقية؛ لأنها هي التي ندرك بها ما يعبر عنه اللفظ مباشرة من دون واسطة من غيره، فعندما نسمع لفظاً من تلك الألفاظ التي ذكرها الرَّازي في تمثيله يتبادر إلى أذهاننا ما يعبر عنه من حقائق على ما قد يخالط ذلك من ظِلَال وصور أخرى، ولكن بؤرة الإدراك تكون منصبة على الأصل، وليبين منهجه في الصلة بين اللفظ وما يدل عليه قال:(ولاشك في كونها وضعية) أي أن الألفاظ ما يميزها عما تعبر عنه لمناسبة بينها وبين تلك الحقيقة ولكن الواضع هو الذي جعلها تفعل ذلك ولو لم يكن ما ذهب إليه دقيقاً لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع.

وهكذا فإن الدلالة الوضعية - عند الرّازي كما عند غيره من البلاغيين- وضعية بمعنى أن الألفاظ وضعت وضعاً في إزاء الحقائق ليعبر أبناء اللغة عنها ولهذا جاءت الألفاظ مختلفة اختلاف اللغات.

أما الدلالة العقلية: فإما :" أن تكون دالة على ما يكون داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم البيت ، ولاشك في كونها عقلية، لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة، ولا يكون متناولاً لأجزائها. وأما على ما يكون خارجاً عنه لدلالة لفظ (السقف) على الحائط، فإنه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة ، كان اللفظ المقيد لحقيقة السقف مفيداً للحائط بواسطة دلالة على الأول فتكون هذه الدلالة عقلية"(الرّازي،فخرالدين،2004،ص:30)،

وهذا التقسيم الذي أجراه للدلالة العقلية عندما جعلها قسمين ؛ قسم يكون داخلاً في مفهوم اللفظ وقسم يكون خارجاً عنه يتفق مع تقسيم الجمهور من أصوليين وبلاغيين لها إذ جعلوها قسمين كذلك: دلالة تضمن ، أو تضمنية، ودلالة تلازمية، وعن الدلالة الوضعية والعقلية عبر الإمام عبد القاهر الجرجاني بالمعنى عن الدلالة اللفظية ومعنى المعنى عن الدلالة العقلية وبخاصة القسم الثاني منها وهو التلازمية، والمقصود "بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ وهو الذي يفهم منه بغير واسطة. بمعنى المعنى:أن يفهم من اللفظ معنى ثم يفيد ذلك المعنى معنى آخر"(المصدر نفسه،ص:31).

ففي أيٍّ من هذه الدلالات الثلاث المتفرعة عن الدلالتين اللفظية والعقلية وهي دلالة المطابقة والالتزام وهي تندرج ضمن الدلالة الوضعية التي تعتبر موضوع علم المعاني بعامة.

لم يترك الرَّازي الأمر للقسمين حيث قال: "واعلم أن الكناية والمجاز والتمثيل لا يقع (أيّ واحد منهما) إلا في هذا القسم وكأن الدلالتين الأوليتين غير معتبرتين في علم الفصاحة" (المصدر نفسه،ص:31). والمقصود بالدلالتين الأوليتين المطابقة والتضمن، وأما القسم الذي تضع فيه تلك المباحث فهو الدلالة التلازمية.

ولئن كان كثير من البلاغيين المحدثين لم يتمكنوا من كشف ما يوجد من صلة بين الدلالتين الوضعية والعقلية وصدورهما على أنهما متعارضتان أو هكذا يبدو للقارئ العجلان عندما حصروا الدلالة الوضعية في المفهوم الظاهر من اللفظ، والعقلية فيما يدركه من العقل ولهذا جعلوا دلالتي التضمن والالتزام من الدلالة العقلية ودلالة المطابقة من الدلالة اللفظية .(نفسه،والتفتازاني،2001م،1/506).

والحق أن الأمر ليس كذلك، فهما متداخلتان قد يكون لإحداهما ميزة على الأخرى ولكن ليس بينهما تمام انقطاع ، ويمكن تصوير العلاقة بينهما كما في الشكل التالي:

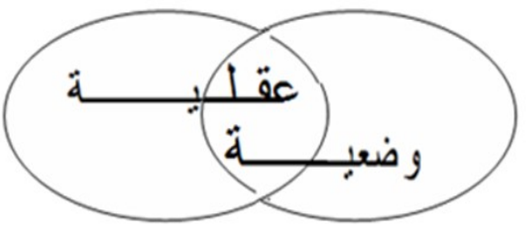

فالدلالة يمكن أن تكون وضعية وعقلية في آن واحد، ومدار ذلك الكنايات والمجاز وما في حكمهما ، فعندما نقول: زيد طويل النجاد، أو كثير الرماد، أو أسد، فقد أدركنا من اللفظ ما يعبر عنه

بالوضع الأولي ثم قادك ذلك المفهوم من اللفظ إلى مفهوم آخر وهو الشجاعة، أو الكرم ، وما كنت لتحصل على هذا المعنى العقلي لولا اللفظ. غير أننا لا ننكر أن لكل منهما متعلقات خاصة ، فإذا أدركت ما يدل عليه اللفظ من دون انتقال فتلك دلالة لفظية خالصة صرفة كما في" زيد إنسان" و"علي طالب"، وكذلك إذا أدرك العقل أمراً من دون لفظ فتلك دلالة عقلية صرْفة كدلالة "الدخان على النار" ودلالة أصوات خلف جدار أو تحت أنقاض على وجود صوت، فهنا لم تستخدم الألفاظ، ولكن العقل أدرك ذلك .

ووقف الرَّازي عند مسألتين على جانبٍ كبير من الأهمية ، وهما المفاضلة بين اللفظ والمعنى والدلالة الالتزامية. (ينظر:الرَّازي،فخرالدين،2004،ص:41- 42)

الفصاحة عند الرّازي:

بهدي من هذا الجدل وقف الرَّازي عند من قال: إن الفصاحة تعود إلى اللفظ وأقام لذلك فصلاً عنوانه ." إقامة الحجة على أن الفصاحة لا يجوز عودها إلى الدلالات الوضعية للألفاظ"(الرَّازي،فخرالدين،2004،ص:35). بدأه بقوله:" اعلم أن الذين يجعلون الفصاحة صفة اللفظ فالأظهر أنهم يجعلونها صفة للألفاظ لأجل دلالاتها الوضعية على مسمياتها ويحتمل احتمالاً بعيدًا أن يجعلوها صفة للألفاظ ، لا باعتبار دلالاتها على مسمياتها وههنا أدلة تبطل الاحتمال الأول خاصة ،وأدلة تبطل الثاني خاصة ، وأدلة تبطلهما جميعًا"(نفسه،ص:35).

ثم شرع في إيراد أدلته المبطلة لكل احتمال على حدة ثم ما يبطلهما معًا. وما يمكن أن يخلص إليه من أدلته أنه يرى: أن الفصاحة في المعاني وقوامها التركيب وليست في الألفاظ المفردة وهي موطن الدلالة اللفظية إذ لو كانت في الألفاظ لما حصل التفاوت بين الناس فيها ولكانوا على درجة واحدة ، فهم جميعًا يملكون تلك الألفاظ ويستطيعون التصرف فيها، ولكن من يوصف بالفصاحة قلة منهم، ثم إن الاستعارة والكناية والتمثيل من أبواب الفصاحة وهي أمور عائدة إلى المعنى لا إلى اللفظ ؛ لأنها تحصل بالتركيب لا بالإفراد.(نفسه،ص:37)

وأما الدلالة الالتزامية ، وهي وإن لم يضع لها تعريفاً فإنها عند جمهور البلاغيين والأصوليين أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج ، فعند فهم مدلول اللفظ ينتقل الذهن من مدلوله إلى لازمه، ولو قدر انتفاء هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوماً ، وذلك كأن شيئاً من بعيد فتقول: أجماد هذا أم متحرك ماشي؟ فيقال لك: هذا أسد فتفهم أنه متحرك ماش، لأن التحرك والمشي لازمان له.(ينظر: الغزالي، تحقيق ،أحمد ،زكي حماد،د،ت،ص:46،د،ت، وينظر:

الرّازي، فخرالدين، 2004،ص:38)

وحديث الرّازي عن الدلالة الالتزامية جاء في إطار تحديده لمواطن البلاغة والفصاحة، ولهذا صدّره بقوله: "فأعلم أنهم يصفون البلاغة بما تتصف به الألفاظ في دلالاتها كقولهم :"لا يستحق الكلام الوصف بالبلاغة، حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه":(ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك" وكقولهم: (حتى يدخل في الأذن بلا إذن)، وكل ذلك مما لا يتصور أن يوصف به دلالة اللفظ على مفهومه ؛ لأنه لا يخلو السامع من أن يكون عالماً بمعاني الألفاظ – وحينئذ لا يمكن دخول التفاوت في فهمه لمعانيها - أو يكون جاهلاً بها فيكون ذلك أبعد.(الرَّزي،فخرالدين،2004م،ص : 38 وما بعدها)، ومدار دلالة الالتزام إنما يكون في الكناية والمجاز والتمثيل ومع أنه أدرج دلالة الالتزام في الدلالة اللفظية فهي لا تتحقق إلا من خلال الدلالة المعنوية .كما في قول الشاعر :

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ هَلْ أَنتَ مِنْ شَرَكَ المَنِيَّةِ نَاجِي

(شرح ديوان جرير،د،ت،ص:90)

وهو يرى إذا تأخر فرسه والسرج حال والفرس محل له، وهذا لم يدرك إلا من التركيب. وقول الآخر:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَىَّ أُنَّاس حَوَادِثَهُ أَنَاخَ بآخرِينَا

فَقُلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أفِيْقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُون كَمَا لَقِينَّا

(ابن قتيبة،1423ه،ج/1،ص:468)

شبه الدهر والمراد نوادره وأحداثه بالبعير ولم يصرح بلفظ المشبه به بل حذفه، ورمز إليه بشيء من لوازمه من الكلاكل والإناخة تشبيهاً على (البعير) والمشبه به المحذوف ما كان ليحصل في حالة الإفراد. ويبدو أنه أدرجها في اللفظة ومن هذا أيضاً الكناية كقول عمر بن أبي ربيعة في وصف امرأة.

بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْطِ إمّا لِنَوفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِم

(ربيعة، ابن عمر،1978م، 348):

فلم يذكر طول الجيد بلفظه الخاص به ولكنه عدل عنه، وأتى بلفظ يدل عليه، وهو(بَعيدَةُ مَهوى القُرطِ) فدل على طول الجيد، وكان في ذلك من المبالغة والجمال ما ليس في اللفظ الأصلي؛ لأن بعد مهوى القرط أدل علي طول أكثر، لأن كل بَعيدَةُ مَهوى القُرطِ طويلة الجيد وليست كل طويلة الجيد بَعيدَةُ مَهوى القُرطِ إذا كان طول الجيد في عنقها يسيرًا.

وهذه المعاني ما كانت لتحصل – أقصد المعاني المجازية وما في حكمها – في حالة الإفراد، ويبدو أن

إدراجها جاء من قبيل أن اللفظ المفرد هو الذي ينتقل بك من معناه إلى معنى آخر، وهذه الموضوعات التي تدور في إطار الدلالة اللفظية وما تفرع عنها تندرج تحت علم البيان وهو "علم أكثر صلة بالدراسة المعجمية منه بالقواعد التي تبحث في المعاني الوظيفية في مجال كمجال المعاجم هو النظر في العلاقة بين الكلمة و مدلولها، ولقد كان البيانيون دائماً على ذكر من الطبيعة العرفية لوضع الكلمة ومن تخصيص كل كلمة بمعنى تدل عليه بحسب الوضع فلا تكون أوسع منه ولا أضيق في الدلالة وكما يختلف التحليل والتركيب في صياغة النحو على مثال ما ذكرنا من قبل يختلف معنى الوضع كذلك عن معنى الاستعمال في دراسة البيان"(حسان،تمام،1979م،ص:19)، وذلك أن اللفظة توضع لمعنى على سبيل الحقيقة ثم تنتقل لأدنى ملامسة إلى معنى مجازي، فاللغة في مجالها اللفظي أضيق من حقل الأفكار والتصورات التي تتوارد على أذهان المتكلمين ومن الظلال التي ترد على أخيلتهم الأمر الذي يجعل الدلالة العرفية أو المعاني الحقيقية للألفاظ قاصرة على الوفاء بمطالب التعبير اللغوي بعامة وفي مجال التصورات والأخيلة والظلال بخاصة.

نخلص مما تقدم إلى أن الدلالة اللفظية عند الرَّازي كما هي عند جمهور البلاغيين والأصوليين قسمان: دلالة وضعية وتتمثل في المعاني الموضوعة إزاء الألفاظ، ودلالة عقلية وتتمثل فيما يدرك من اللفظ من معنى ، ثم ينتقل بك ذلك المعنى إلى معنى آخر فأنت حين تدرك معنى أسد في جملة: زيد أسد – ينتقل بك ذلك المعنى إلى معنى الشجاعة المتضمنة في الأسد الحيوان المعروف.

2- **الدلالة المعنوية:**

لم يضع الرَّازي ولا غيره من البلاغيين واللغويين تعريفاً لها، ولكن ما تمثلوا به يمكن أن يقود إلى استنباط ذلك التعريف. فـــــــ"ابن جني" من اللغويين يقول في بيانها: "آلا تراك حين تسمع ضرب قد عرفت حدثه وزمانه ثم تنظر فيما بعد فتقول: هذا فعل ولابد له من فاعل فليت شعري من هو؟ وما هو؟ فتبحث حينئذٍ إلى أن تعلم الفاعل من هو وما حاله من موضع آخر لا من مسموع ضرب"(ابن جني،2001م،3/98).

وأما الرَّازي فقال في مستهل حديثه عن أحكام الدلالات المعنوية: "اعلم أن الألفاظ المفردة لا تستعمل لإفادتها مدلولاتها المعنوية إلا عند التركيب، والمركبات أصنافها كثيرة، ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتظهر فيه الدقائق العجيبة"(الرَّازي،2004م،ص:73)، فهذان النَّصان يمكن أن يستنبط منهما تعريفاً للدلالة المعنوية وهو أنها الدلالة المستفادة من علاقات مكونات الجملة، وهو ما يعرف عند المحدثين بالدلالة النحوية، ولهذا قال الرَّازي في الفصل الثالث من هذا القسم للخبر

على أعيان الموجودات، قال: "قولك خروج زيد لا دلالة له على خروج"زيد" بل على حكمك بذلك، إذ لو دل على خروج زيد، فكانت له هذه الألفاظ متى وجدت وجد خروج زيد، لاستحالة انفكاك الدليل على المدلول – ولو كان كذلك لكنت تسمع الرجل يثبت أو ينفى، إلا إذا تيقنت ثبوت مثبته أو انتفاء منفيه"(نفسه،ص،74)، وأما عبد القاهر الجرجاني فالدلالة المعنوية عنده((توخي معاني النحو في معاني الكلم"(الجرجاني،عبدالقاهر،1992م،ص:362)، وهو ما يعرف بالنظم. ومعاني النحو هي الوظائف النحوية التي تؤديها الكلمات في الجملة وهي المبتدأ أو الخبر والفاعل، ونائب الفاعل والمفاعيل والحال والتمييز... إلخ.

فالكلمة الواحدة قد تأتي نحويًا فاعلاً أو مفعولاً به أو مجروراً، فتنتقل من معنى نحوي إلى آخر حسب العامل في كل تركيب ، وهذا ما يمكن أن نستفيده من قول ابن جني: " النحو إنما هو لمعرفة أنفس الكلم المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكرٌ ورأيت بكراً ومررت ببكرٍ، فإنك إنما خالفت بين حركات الإعراب لاختلاف العامل ولم تعرض لباقي الكلمة"(ابن جني،1954م،تحقيق،عبدالله ،امين،ابراهيم،ط1، ،ج4/1)، أي الحركات والحروف الأخرى في الكلمة؛ لأن ذلك من اختصاص التصريف، لأن المعنى النحوي متعلق بحركة الإعراب على آخر الكلمة، أي أن للنظام الداخلي للعلاقات بين عناصر الجملة، وقدم ابن جني نظرات ذات قيمة في الدلالة النحوية، ففي توجيهه لقراءة يزيد البربري للآية الكريمة: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)) (سورةالبقرة،الآية،30)، قراءة اليزيدي: وَعُلِّمَ آدَمُ الأَسْمَاء كُلَّهاَ بالبناء للمفعول يقدم دراسة لنظام الجملة في العربية وما يكمن وراء تغير هذا النظام من دلالات وظيفية أو معنوية فيقول:" ينبغي أن يعلم ما ذكره هنا، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل كضرب زيد عمراً، فإذا أعناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا: ضرب عمراً زيد، فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبة، فقالوا: عمراً ضرب زيد، فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة، وتجاوزوا به حد كونه فضلة ، فقالوا: عمرو ضربه زيد، فجاؤا به مجيئًا ينافي كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد، فحذفوا ضميره و وفوه، ولم ينصبوه على ظاهر أمره ؛ رغبة به عن صورة الفضل وتحامياً لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة ، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهراً أو مضمراً فقالوا: ضُرِبَ عمرو فاطرح ذكر الفاعل ألبتة نعم، وهو قولهم: أولعت بالشيء، ولا يقولون: أولعني به كذا. وقالوا ثلج فؤاد الرجل، ولم يقولوا: ثلجه كذا، وامتقع لونه، ولم يقولوا: امتقعه كذا. ولهذا نظائر- فرفض الفاعل هنا ألبتة

واعتماد المفعول به ألبتة دليل على ما قلناه .... فإذا أثبت بهذا كله قوت عنايتهم بالفضلة حتى ألغوا حديث الفاعل معها وبنوا الفعل لمفعوله فقالوا: ضُرِبَ زيدٌ- حسن قوله تعالى:" وَعُلِّمَ آدَمُ الأَسْمَاء كُلَّهَا"، لما كان فيه أنه قد عرفها وعلمها، وآنس علم المخاطبين بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي علمه إياها بقراءة من قرأ: وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا"(ابن جني،1998م،1/،146)، وهكذا يحدد ابن جني نظام الجملة، وما يصيبها من تغيرات لتؤدي المعنى المقصود والدلالة الدقيقة حتى إن الفضلة لتقدم على باقي عناصر الجملة وتقام علاقات جديدة فيما بينها ويحذف الفاعل أحياناً والقصد من وراء ذلك الوصول إلى الأمر الأهم وبيان أن المعنى في هذا الموضوع مثلاً أكثر وضوحاً من غيره. ويقدم أيضاً نموذجاً لدراسة فصيلة نحوية وهي التنكير وما يفيده من معنى التجريد وذلك في توجيهه لقراءة الحسن في الآية الكريمة: (اهْدِنَا الصِرَاط الْمُسْتَقِيمَ)(سورةالفاتحة،الآية،5)، والقراءة الحسنة اهْدِنَا صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا فيقول:" ينبغي أن يكون أراد – والله أعلم – التذلل لله سبحانه، وإظهار الطاعة له، أي قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له صراط مستقيم، ولسنا نريد المبالغة في قول من قرأ: الصراط المستقيم، أي الصراط الذي قد شاعت استقامته وتعولت في ذلك حاله وطريقته، فإن قليل هذا منك لنا زاكٍ عندنا وكثير من نعمتك علينا، ونحن له مطيعون، وإلى ما تأمر به وتنهى فيه صائرون. وزاد في حسن التنكير هنا ما دخله من المعنى، وذلك أن تقديره: أَدِمْ هدايتك لنا؛ فإنك إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إلى صراط مستقيم، فجرى حينئذ مجرى قولك، لئن لقيت رسول لتلقين منه رجلاً متناهيًا في الخير، ورسولاً جامعًا لسبل الفضل، فقد آلت به حال إلى معنى التجريد"(ابن جني،1998م،116ومابعدها)، يقصد بالتجريد البلاغي الذي يزيد فيه المعنى قوة التنكير ويزيد الدلالة شمولاً لأن نكرة الجنس تفيد ما تفيده المعرفة.

ولقد جئنا بهذه النصوص من ابن جني ومن غيره لنوضح به المقصود بالدلالة المعنوية، ومباحث علم المعاني جميعها قائمة على هذا أو هي التي سماها عبد القاهر الجرجاني بمعاني النحو، ولئن كان الرَّازي لم يقم بالتمثيل لها في الموضع الذي حدده له فإن الكتاب مليء بما يصورها أكمل تصوير في الفرق بين قولنا: زيد منطلق وقولنا: زيد المنطلق وقولنا المنطلق زيد. يقول: "إذا قلنا زيد منطلق أفادت ثبوت الانطلاق لزيد، من غير إفادة لدوام ذلك الثبوت بل على ما يعم المؤقت والمقيد ومقابليهما، وإذا قلت: زيد المنطلق أو زيد هو المنطلق فاللام في الخبر تفيد انحصار المخبر به في المخبر عنه، مع قطع النظر عن كونه مساوياً أو أخص منه" (الرَّازي، فخرالدين،2004م،ص:82)

وهكذا فإن الدلالة المعنوية هي الوظائف التي تؤديها الكلمات في الجمل وهي ما يعرف بالدلالة

النحوية عند المحدثين.

نخلص مما تقدم إلى أنَّ الدلالات عند الرَّازي قسمان أساسيان هما:

- الدلالة اللفظية وتتمثل فيما تؤديه الألفاظ من معانٍ مباشرة أو غير مباشرة وهي قسمان:

- دلالة وضعية وتتمثل في المعاني الموضوعة بإزاء الألفاظ وهي أقرب ما تكون إلى الدلالة المعجمية عند المحدثين.

- دلالة عقلية وتتمثل فيما يدرك من معانٍ عن طريق المعاني الوضعية وهو ما يعرف عند عبد القاهر بمعنى المعنى وكذلك عند المحدثين وبخاصة عند أصحاب الاتجاه الإشاري بزعامة أوجدن Ogden وريتشاردز Richards .

- الدلالة المعنوية وتتمثل في الوظائف التي تؤديها الكلمات في الجمل وما يترتب على ذلك من تقديم وتأخير وتنكير وتعريف وخروج عن مقتضى الظاهر وانتقال من أسلوب نحوي إلى أسلوب نحوي آخر.

- جاءت دراسة البلاغيين على هذا النحو خلافاً لما كان عند الأصوليين واللغويين وإن كان ثمة تشابه في بعض الجزئيات ؛ لأن البلاغيين يهدفون من وراء دراستهم إلى تحديد مواطن الحسن والقبح في النصوص وإظهار ما فيها من قيم جمالية ،وأما غيرهم فلا يهدفون إلا للوصول إلى المعنى الذي يوضح الحكم الشرعي وهذا هو شأن الأصوليين، أما معرفة مقصود المتكلم فهذا هو شأن اللغويين.

ثبت المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني

1- التفتازاني المطول(شرح تلخيص مفتاح العلوم) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت،2001ف.

2.الجاحظ، البيان والتبيين، ، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية بيروت، 1998م.

3. الجرجاني ، الشريف ،التعريفات، ، تح: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة.

4. الجرجاني ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ودار المدى بجدة، ط1992،3م.

5. جرير، شرح الديوان، محمد الصاوي ،مطبعة الصاوي ،ط1 ،مصر،د،ت.

6.الجوهري،ابو نصر اسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقبق ، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ،بيروت ، لبنان ، 1979 م.

7.ابن جني، الخصائص، ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان،2001ف.

8. ابن جني، المحتسب، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998 م.

9. ابن جني، المنصف في شرح تصريف المازني، ، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة البابي الحلبي ،مصر1954م

10. حسان ، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1979م.

11. الرّازي ،فخر الدين ،نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق ،د. نصرالله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر ،بيروت،2004م.

12. .ابن ربيعة ،عمر، ، دار الباز، مكة،1978م

13.ابن ربيعة، لبيد، العامري، دار صادر، بيروت.

14. ريتشاردز، مباديْ النقد الأدبي والعلم والشعر، ترجمة وتقديم محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة،، القاهرة،2005م

15. الزمخشري، ، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة ، دار صادر للطباعة ، والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1992 م .

16. زوين، علي، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1986م.

17. سوسير، فرديناندي، محاضرات في الألسنية العامة ، فردنا ندي سوسير ، ترجمة ، يوسف غازي ، ومجيد النصر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الطبعة الأولى ، 1986 م .

18.الضبي،المفضل،تحقيق،أحمد،شاكر،وعبدالسلام هارون،دار المعارف،ط6،القاهرة،د،ت.

19.ابن الطثرية، يزيد، صنعه ،حاتم الضامن ،مطبعة أسعد، بغداد، د،ت.

20.العسكري ،أبوهلال، الصناعتين، حققه مفيد قميحة، دار الباز للطباعة والنشر،1981م.

21. عياد، حنا، سامي، معجم اللسانيات الحديثة ، سامي عياد حنا ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، الطبعة الأولى ، 1987

22. عبد الغفار، السيد أحمد ، التصور اللغوي عند الأصوليين ، السيد أحمد عبد الغفار ، عكاظ للنشر ، 1981م .

23. الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم أصول الفقه ،تحقيق ،أحمد زكي حماد ، دار الميمان للنشر والتوزيع.

24.غيرو،بيار علم الدلالة ، ترجمة ، انطوان أبو زيد ،منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ، 1986م

25.الفاخري،صالح سليم، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، دار عصمي ، للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ، 1999م.

26.الفاخوري،عادل، علم الدلالة عند العرب (دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة) ط1، دار الطليعة،

بيروت،1985م.

27.ابن فارس ، أبو الحسن أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991م.

28. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 2003ف.

29.) قدور، أحمد ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1999 م .

30.القرطاجني ،حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق ،الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1981 م .

31.المبرد ،المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

32. المسدي ، عبدالسلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب، 1981م.

33.ابن منظور، لسان العرب، ، دار صادر بيروت، ط1، 1990 م.